رسالة لطيفة
في

علوم الحديث
و علاقتها بالسيرة النبوية

د . محمد بن رزق بن طرهوني

محاضرة ألقيت في

غرفة

منتدى الحديث على البالتوك

1426هـ

هذه محاضرة تم إلقاؤها في غرفة صوتية تابعة للإخوة القائمين على منتدى الحديث وعلومه وكانت بتنسيق من ولدنا مشرف المنتدى الذي قام بدعوتي لإلقائها وذلك بتاريخ 26 ذي الحجة 1426ه

علوم الحديث وعلاقتها بالسيرة النبوية

@@@

مقدمة للأخ مشرف المنتدى ثم بداية المحاضرة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ . أما بعد ،

فإن خير الكلام كلام الله ﷻ وأحسن الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالةَ ، وكل ضلالة في النار ..

أحيي فضيلة الشيخ الدكتور أسامة نمر عبد القادر والأخ الكريم والابن العزيز مشرف منتدى الحديث وجميع الحضور بتحية الإسلام
فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفي طليعة محاضرتنا اليوم الموسومة بعلوم الحديث وعلاقتها بالسيرة النبوية أشكر الأخ طلحة على تنسيقه لأمر هذا اللقاء المبارك وعلى جهوده الموفقة في مجالات الحديث والدعوة جعل الله ذلك في ميزان حسناته وأسأل الله تعالى أن يجزل المثوبة لكل من ساهم في عقد هذه الندوة وتفعيلها وإنجاحها .

في الحقيقة أيها الإخوة علم الحديث علم هام جداً ، وينبغي لطالب العلم أن يهتم بهذا العلم اهتماماً خاصاً لما له من أثر عظيم في التعامل مع نصوص الشريعة، ليس فقط مع أحاديث النبي ﷺ وسيرته الشريفة وإنما مع القرآن أيضا كما قد فصلناه في الدورة المفتوحة الأولى لعلم الحديث .

ونحن في محاضرة اليوم وقبل أن نتحدث عن علاقة بين متعلقين ، لابد وأن نعرج على معنى طرفي العلاقة لكي نستطيع استبيان أوجه ذلك التعلق .

عندما نقول علوم الحديث فإننا نريد بذلك مجموعة العلوم المعنية بالأصول والقواعد التي يعرف بها أحوال سند ومتن الحديث من حيث القبول والرد
وثمرة هذا العلم هو تمييز الصحيح من السقيم من الأحاديث .

والمقصود بالأحاديث في الاصطلاح ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة

ويطلق عليه أيضا الخبر عند البعض بل والأثر كذلك في أحايين ، وإن كان المشهور أن الخبر والأثر أعم من الحديث فهما يشملانه وغيره ، والبعض يخص الخبر والأثر بما جاء عن غير النبي ﷺ فيكونا قسما آخر مغايرا للحديث .

كما أن الحديث في كلامنا هنا يتفق مع السنة في اصطلاح أهل الحديث حيث إنهم يطلقون السنة على كل ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِيّة أو خُلُقِيّة أو سيرة) وهنا أضافوا لفظ سيرة وهو من باب التوضيح ، يعني : جميع ما أُثِر وحُفِظَ عن النبي ﷺ فهذا الذي يسميه أهل الحديث (سنة) ، لماذا ؟

لأن تخصصهم واهتمامهم يتعلق بكل ما يتعلق به ﷺ .

ننتقل إلى نقطة أخرى وهي : تقسيم علم الحديث

فعلم الحديث من حيثُ تعريفُهُ ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : علم الحديث رواية :

وهو علمٌ يشتمِلُ على أقوالِ النبي ﷺ وأفعالهِ وروايتها وضبطِها وتحريرِ ألفاظها .

يعني : القسم الأول من علم الحديث بتعبيرٍ مختصَرٍ وتبسيطٍ للأمرِ يتعلق بالمتن أي : بنفس الرواية التي تتضمَّنُ قولاً للنبيﷺ أو فعلاً له فهذا القسم يتعاملُ مع هذه الروايات من حيثُ ضبطُها وضبطُ ألفاظها وتحريرُها وبيانُها ومعانيها ونحو ذلك .

أما القسم الثاني فهو : علم الحديث دراية :

وهو علمٌ يُعرَفُ منه حقيقةُ الروايةِ وشروطُها وأحكامُها وحالُ الرُّواةِ وشروطُهم وأصنافُ المرويّاتِ وما يتعلَّقُ بها .

وهذا القسم يحتاج إلى شرح لهذه المفردات

وأيضاً لتقريب المعنى يمكن أن نقولَ :

إن علمَ الحديثِ المختصَّ بالدرايةِ هو علمٌ يتعاملُ مع السَّنَدِ ، أي مع الطريقِ الذي جاءت لنا به الروايةُ ، فهو علمٌ يُعرَف به حقيقةُ الروايةِ .

- (وحقيقةُ الرواية) هو نقلُها وإسنادُ ذلك إلى من عُزِيَتْ إليه . .يعني : نقل الروايةِ سواءٌ كانت عن رسول الله ﷺ أو عن أحد أصحابه أو التابعين ،

وإسنادُ ذلك إلى من عُزِيَتْ إليه . يعني : ذكر السَّند إلى صاحب هذه الرواية بالتحديث أو بالإخبار أو نحو ذلك

- (وأما شروطها) فشروط الرواية : فإنها تتعلَّقُ بتحمل الراوي ، يعني : الراوي الذي سمع هذه الرواية كيف سمعها ؟ فهناك شروط لقبول هذا التحمل ؛ فلا بدَّ أن يكون سماعاً أو عرضاً أو إجازةً أو نحو ذلك .

وليست جميع طرق التحمل مقبولة .

- (وأنواعها) : أنواع الرواية تتعلق باتصالها أو انقطاعها أو إرسالها أو إعضالها وهل هي مرفوعة أم موقوفة ونحو ذلك .

- (وأحكامها) أحكام الرواية تتعلق بقَبولِها أو ردِّها ؛ فإما أن يكون حكمُ الروايةِ القبول وإما أن يكون حكمها الرد .

ويندرجُ تحت قبولِ الرواية أقسام تُدْرَجُ في هذا الباب ، وهو ما يتعلق ببيان الحديث الصحيح وبيان الحديث الحسن وبيان الحديث الضعيف وكذلك الموضوعُ المكذوبُ على رسول الله ﷺ .

وكذلك في موضوع أحكام الرواية يُدرَس ما يسمى بالاعتبارات والشواهد والمتابعات ، وكَذلك العلل التي تكون في بعض الأحاديث مثل ما يسمى بالاضطراب وما يسمى بالإدراج ونحو ذلك .

- وقولنا : (وحالُ الرُّواة) نعني به :العدالةَ والجرحَ . أي : الكلام عن رواة هذه الرواية من حيثُ عدالتُهم أو جرحُهم .

وهنا يتحدث أهل العلم في هذا القسم في صفة من تُقبَلُ روايتُه ومن تُرَدُّ ، وكيف يُعرَفُ ضبطُ الراوي لما يروي ، وما الذي يُقبَل من كلام أهل العلم في الجرحِ والتعديلِ .

كذلك يُبحَث في هذا القسم ألفاظُ العلماء في الجرحِ والتعديل .

- (وأما شروطهم) أي شروط الرواة والمقصود في التحمُّلِ وفي الأداء .

والتحمُّلُ بمعنى :حمل الرواية ، والأداءُ بمعنى أداء الرواية .

فالتحمل يبحث فيه سماعُ الصغير والضرير ونحو ذلك .

والأداء يبحث فيه الرواية من الحفظ ، والرواية من الكتاب والرواية بالمعنى ونحو ذلك .

(وأما أصناف المرويات) فيراد بذلك المصنفات من مسانيد ومعاجم وغيرها .

(وما يتعلق بها) أي : وما يتعلق بأصناف المرويات ، وهو أن نعرفَ اصطلاحَ أهلِها .

فأهل هذه المصنَّفات كلٌّ منهم له اصطلاحٌ فصاحب المعجم اصطلاحه في كتابه يختلف عن صاحب المسند وهلم جرا .

وكتب علوم الحديث كثيرة وأول من صنَّف في هذا الفن :

الإمام الرّامَهُرْمُزِيُّ الذي ألف كتابه (المحدث الفاصل) وهو يُعتَبَرُ أقدم كتاب في علم مصطلح الحديث .

ثم ألف بعده الحاكمُ النّيسابوري (معرفة علوم الحديث) ثم جاء الخطيبُ البغداديُّ فألَّف كتابه (الكفاية في علم الرواية) ثم أخذ رحمه الله يصنِّف في كل فنٍّ من فنون علم الحديث كتاباً .

وقد توسعنا قليلا فيما ذكرناه آنفا في دورة الحديث الأولى فمن أراد الاستزادة فليرجع إليها .

ننتقل إلى الطرف الثاني من العلاقة وهي السيرة النبوية :

نلاحظ بادئ ذي بدء أنها قد ذكرت ضمن تعريفنا للحديث وللسنة فهي من موضوعات علم الحديث أساسا .

والسيرة في اللغة: هي الطريقة وَالسنة .

وأما في الاصطلاح: فلها تعريفان مشهوران:

أحدهما :-وهو موافق لتعريف السنة- "ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلْقي أو خُلُقِي".

والثاني: وهو أوضح فيما نحن بصدده مع اندراجه في سابقه عند التأمل هو "علم يعرف به أحوال النبي ﷺ منذ ولادته ونشأته إلى وفاته ﷺ .

ولاشك أن أحوال النبي ﷺ تشتمل على أقوال له وأفعال فعلها وتقريرات أقرها لأفعال فعلت بحضرته أو لأقوال قيلت فسمعها أو نميت إليه كما أنها حكايات لأخلاقه وتعاملاته أو وصف لشمائله .

وأحيانا يطلق على السيرة المغازي والصحيح أن المغازي قسم من أقسام السيرة وليست مرادفا لها .

والمتأمل لعنوان صحيح البخاري : الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه . مع ملاحظة أنه أدرج فيه كتابا كاملا سماه كتاب المغازي . يعلم يقينا أن السيرة جزء لا يتجزأ من السنة النبوية .

وللسيرة النبوية مصادر أساسية قد تكلم عنها الدكتور عبد الله الحكمي في محاضرة خاصة أظنها متوفرة على الشبكة ، نجملها فيما يلي :

القرآن الكريم .

ودواوين السنة .

وكتب التاريخ والطبقات ومعرفة الصحابة .

والتصانيف التي أفردت في سيرته ﷺ أو شمائله ودلائل نبوته .

وكذلك الشعر المعاصر لدعوة النبي ﷺ .

ومن أوائل من صنف في السيرة على وجه الخصوص عروة بن الزبير ، ووهب ابن منبه ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وأبان بن عثمان ، وعاصم بن عمر بن قتادة النعماني ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم الأنصاري، وموسى بن عقبة .

وهؤلاء كلهم أثباتٌ مِنْ رجال الصحيحين ، سوى أبان بن عثمان فإنه من رجال مسلم .

ولم يصل إلينا من هذه التصانيف إلا جزء الزهري وهو مقتطع في الواقع من مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني .

ولكن هذه المصنفات في حقيقة الأمر مبثوثة في ثنايا كتب الحديث وقد قام بجمع بعضها نفر من طلبة الرسائل الجامعية .

ثم تلا هذه المرحلة أشهر المصنفات وهو كتاب: السير والمغازي ، ويسمى أيضاً: المبدأ والمبعث والمغازي لابن إسحاق رحمه الله (ت151هـ) وكل من صنف بعده فهم عيال عليه كما قاله غير واحد .

ولدراسة السيرة أهمية عظيمة فقد تدبرت في سيرته صلى الله عليه وسلم ، فرأيت أنه لا غنى للمسلم عن دراستها ، وانتهاج منهجها ، فهي الواقع العملي التطبيقي لكل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن خلالها نتعرف على المقياس الصحيح في مدى انتساب الأمة لشرعها.

وتعرفنا المنهج السليم للدعوة إلى الله جل وعلا .

والمسلم على اختلاف وجهات حياته ، وتفاوت درجات بلائه ، في مجال العمل للإسلام ، لابد وأن يلم ولو إلمامة سريعة بجوانب تلك السيرة العطرة

وأما إن كان من المحبين المشتغلين بالعلم ، الذين منّ الله عليهم وحباهم بتحمل مسئولية الدعوة إلى دينه ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ؛ فإنه لايسعه إلا أن يحيط بتلك السيرة إحاطة دقيقة ، ويتوقف عند كل جزئية من جزئياتها، يستقي منها المنهج ، والطريق ، والدرس ، والعبرة ، والعظة ولكن أنى يتسنى له ذلك ؟ إذ إن سيرته صلى الله عليه وسلم مبعثرة هنا وهناك ، تتنازعها كتب الحديث ، وكتب المغازي ، وكتب الدلائل ، وكتب التاريخ ، وكتب التفسير ، وهلم جرا

ثم إن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل إن الصعوبة كل الصعوبة ، تكمن في دراسة تلك الروايات ، التي تبعثرت في بطون تلكم الكتب ومعرفة الثابت منها الذي هو أهل لأن تربى عليه الأجيال ، وتؤسس بنوره المفاهيم ، وتقعد على نبراسه أسس الدعوة وبناء صرح الأمة فيالها من مسئولية عظيمة!

لذا فإن من الأهمية بمكان عرض روايات السيرة على قواعد علوم الحديث واستخلاص المقبول من المردود وهذه هي العلاقة الوطيدة بين علوم الحديث والسيرة النبوية فبدون علوم الحديث تعمى الأبصار الناظرة في السيرة وتزيغ ، وتدب الخلافات بين الأمة ، وتتناقض الصور المعروضة لوقائع سيرته ﷺ ، وتنفتح الأبواب لدعاة الفتن وللمغرضين والشانئين لهذه الدعوة ، وترتفع عقيرة أهل الغلو والبعد عن المنهج القويم ، فكل يتعلق بما يروق له وهو عند عرضه على علوم الحديث يتضح أنه سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

ونعرض هنا لمسألة من مسائل علوم الحديث ترتبط ارتباطا وثيقا بالسيرة وهي مسألة الحديث المرسل :

وهو : مارواه التابعي صغيرا كان أو كبيرا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم مباشرة بدون ذكر الواسطة وهو التعريف المشهور بين أئمة الحديث كما نقله الحاكم وابن عبد البر وغيرهما فقال الحاكم : إن مشايخ الحديث لم يختلفوا في أن الحديث المرسل هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي فيقول التابعي : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم

وقد وافق المحدثين علي ذلك ، جمع من الفقهاء والأصوليين

وأما حجيته ، فقد تنازع فيها أهل العلم ، فمنهم من قبله مطلقا ، ومنهم من رده مطلقا ، ومنهم من فصل في ذلك

فذهب إلى قبوله مطلقا مالك وأبو حنيفة وجمهور أصحابهما ، وهو رواية عن أحمد ، قال عنها الآمدي : إنها أشهر الروايتين وكذا قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والسيوطي وغيرهما وإلى قبول المرسل ذهب جماعة من المحدثين وحكاه النووي عن أكثر الفقهاء

قال الإمام أبو داود السجستاني : وأما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي حتي جاء الشافعي فتكلم فيها الخ .

وقال الطبري : أجمع التابعون بأسرهم علي قبول المرسل ولم يأت عنهم إنكاره ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلي رأس المائتين .

ولمن يقول بقبول المرسل حجج ومن الحجج القوية لمن يقول بذلك :

ماذكروه من كون إرسال التابعين للأحاديث لا يدخل تحت الحصر ، وهو مشهور شائع بينهم ولم تكن روايتهم لها إلا للعمل بها ، وإلا فلو كانت لغوا لا تفيد شيئا ولا يحتج بها لأنكرها عليهم العلماء ، وبينوا أن إرسالهم الحديث يقتضي التوهين له ، وعدم الاحتجاج به فما أنكر ذلك عليهم نظراؤهم ولا من فوقهم ، وإنما أنكره من بعدهم .

فنلاحظ هنا أن الذين يقولون إن أغلب روايات السيرة مراسيل وهذا يعني عدم اهتمام أهل العلم في مجال السيرة بنقد رواياتها وفق المصطلح قد أبعدوا النجعة وذلك لأن كثيرا من أهل العلم كانوا يعتمدون المراسيل في الأحكام فكيف يردونها في السيرة ؟

ونحن وإن كنا نرى القول بعدم قبول المرسل إلا بشروط معينة كما فصلته في مقدمة صحيح السيرة إلا أن ما ذكرناه ملزم لمن توهم التباين بين السيرة وعلم المصطلح في الصدر الأول ومن هنا نطرح سؤالا :

هل عرض السيرة على مقاييس علوم الحديث وليد العصر أم ماذا ؟ وإن لم يكن هذا المنهج عند المتقدمين من أهل العلم فما الحاجة إليه الآن ؟

فنقول : كان المتقدمون من علماء الأمة ـ رحمهم الله ـ جل اعتمادهم على مغازي ابن اسحاق ، فلم يبعدوا في ذلك ، فهو فارس الحلبة ، وهو جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، فقد انبرى لهذا العلم وأفنى حياته لجمعه بالإضافة إلى حداثة عهده وقربه من عهد النبوة ، وتتلمذه على أئمة هذا الشأن في ذلك العصر كالزهري وغيره

ولكن ؛ هل استوعب ابن اسحاق السيرة النبوية ؟ وهل كل ماذكره صحيح ، بحيث يؤخذ بالتسليم التام الذي لايناقش ولا يراجع فيه ، وبحيث تبنى عليه الأسس والقواعد لإعادة بناء الأمة على المنهاج النبوي والطريق المحمدي ؟ من قال : نعم فقد خالف الحق ، وجانب الصواب فإنه بالنسبة للجزئية الأولى نجد أنه قد فاته الكثير من سيرته صلى الله عليه وسلم إذا راعينا التسلسل التاريخي ، وإذا نظرنا في روايات غيره من أهل السير ممن تقدمه وممن تأخر عنه .

وبالنسبة للجزئية الثانية نجد أنه قد خالفه في بعض المواضع روايات في الصحيحين وغيرهما ، وخالفه أيضا غيره من أهل السير في كثير من المواضع ، وبعضهم من شيوخه وشيوخ شيوخه كالزهري وعروة وغيرهما ثم إنه ـ رحمه الله ـ لم يسند كثيرا مما روى ، بل إنه في بعض المواضع يقول : وزعموا كذا ، أو يقول : فالله أعلم أي ذلك كان ونحو ذلك مما يجعل الباحث يتوقف في قبول الرواية فضلا عن بناء الأسس عليها .

ومن المخالفات المشهورة لابن إسحق لما في الصحيح روايته أن الخارجين إلى الحديبية كانوا سبعمائة والذي في الصحيح أنهم كانوا ألفا وأربعمائة .

وأن أصحاب الرجيع كانوا ستة وفي الصحيح أنهم كانوا عشرة .

وأن أصحاب بئر معونة كانوا أربعين وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين .

ثم إن هذا كله ينطبق على كل من كتب من السلف في السيرة ، أو من رويت عنه السيرة فهو مشاهد أيضا في مغازي عروة ، ومغازي الزهري ، ومغازى سليمان التيمي ، ومغازي موسى بن عقبة ، ومغازي ابن عائذ ، وغير ذلك كمغازي الواقدي بغض النظر عن الكلام الذي فيه .

ومخالفات الواقدي لما رواه أهل الصحيح وتفرداته أشهر من أن تذكر .

وإن الناظر في روايات أولئك الأئمة ، يجد اختلافا كبيرا وبونا شاسعا ، بين كثير من الروايات عند بعضهم ومايقابلها عند الآخرين مما يؤكد أن الاعتماد على تلك الروايات هكذا لأول وهلة خطأ محض .

وانتقاد روايات السيرة عمل درج عليه أئمة العلم وكلامهم في رواتها مشهور ومن ذلك ما ذكرناه في مقدمة السيرة عن الواقدي ونضيف إليه قول الحافظ ابن كثير رحمه الله : والواقدي عنده زيادات حسنة وتاريخ محرر غالبا فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار . (البداية والنهاية 324/2)

ويقول الحافظ ابن حجر : ولا يتعقب الأسانيد الصحيحة بما جاء عن الواقدي .

ويقول أيضا : وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف . فتح الباري 428/7، 472

أقول : والأمثلة على انتشار روايات واهية من السيرة تلاقفتها الكتب دون تمحيص وأصبحت تدرس في مدارسنا وتجري على ألسنة وعاظنا كثيرة جدا لا يتسع المقام لبسطها وأذكر من ذلك ما روي في أنه ﷺ لم يكن له ظل مما حدا ببعض الجهلة أن يعتقدوا أنه ﷺ خلق من النور وهذا لا أصل له ، وقصة انطفاء نار المجوس وانهيار شرفات إيوان كسرى في ليلة مولده ﷺ وقد روي ذلك بسند واه جدا ، ومن ذلك أيضا ما اشتهر من أن عمر خديجة عند زواجه ﷺ منها كان أربعين سنة وأنها كانت تكبره بخمس عشرة سنة وهذا لم يأت في رواية معتبرة بل هو معارض للواقع من سيرته ﷺ وما رزقه الله من خديجة من أبناء وللحالة الاجتماعية عند العرب بصفة شاملة ، ومنها كذلك حصول الإسراء والمعراج تسلية له ﷺ عندما مات عمه وزوجه في عام واحد والنصوص الصحيحة تدلل على وجود أبي طالب على قيد الحياة بعد المعراج ، ومنه أيضا تسمية هذا العام بعام الحزن ولم يأت ذلك إلا في أثر منقطع عن رجل غير ثقة .

ونعرض هنا طرفا من كلام أهل العلم والباحثين يتعلق بالمنهج القويم في عرض السيرة على علوم الحديث والحاجة الماسة إلى ذلك :

يقول الشيخ العلامة الألباني رحمه الله تعالى في معرض رده على الدكتور البوطي :

و قلت في نفسي: إذا صدق الخبرُ الخَبرَ فلا شك أن الدكتور بكتابه هذا يكون قد طرق باباً جديداً من التأليف في سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، و هو اختيار الروايات التي صحت فيها من كتب الحديث و السيرة، و لازمه الإعراض عن ذكر ما لم يصح منها على طريقة علماء الحديث و نقاده.

يقول الشيخ الألباني : و هذا أمر هام جداً، فإن ما ألف في السيرة النبوية الكريمة حتى الآن يعد بالألوف كما قال العلامة السيد سليمان الندوي في كتابه القيم ((الرسالة المحمدية)) و مع ذلك، فإنـي لا أعلم في كل ما ألف من ذلك، من نحا هذا المنحى من الاختيار الذي ذكر فضيلة الدكتور أنه سلكه في هذا الكتاب، و لطالما راودتني نفسي أن أسلك هذا السبيل فأضع كتاباً جامعاً تحت عنوان ((صحيح السيرة النبوية)) على نحو ما جريت عليه في ((صحيح سنن أبي داود)) و غيره مما أنا في سبيله الآن، و لكن الفرصة لم تسنح لي حتى هذه الساعة للقيام بمثل هذا الواجب، فلما قرأت عبارة الدكتور السابقة ظننت أنه قد قام بالواجب و تحقق الرجاء.

يقول الألباني : و كيف لا يكون ذلك واجباً، و سيرته صلى الله عليه و سلم إنما هي ((صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، كي يجعل منها دستوراً يتمسك به و يسير عليه، و لا ريب أنه مهما بحث عن مثل أعلى في ناحية من نواحي الحياة، فإنه واجده كله في حياة رسول الله ﷺ على أعظم ما يكون الوضوح و الكمال.

و لذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها فقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} - الأحزاب 21)) .ا.هـ

قلت : وقد التقيت الشيخ الألباني رحمه الله بشأن كتابته في صحيح السيرة يوم الثلاثاء 24ربيع الثاني 1408 هـ عندما زار المدينة آنذاك وسألته هل سيقوم بهذا المشروع أم أحجم عنه وعرضت عليه تجارب كتابي صحيح السيرة النبوية فأخبرني بأنه أحجم عن هذا العمل إلا أنه كان قد بدأ فيه فعلا مما حدا بالناشرين لتراث الشيخ بعد وفاته أن يخرجوا بعض ما علقه في كتيب أسموه : صحيح السيرة النبوية .

وأقول أيضا قد وصل عدد الكتب المؤلفة في السيرة بغير اللغة العربية في إحصائية أجريت قبل سبعين سنة إلى ألف وثلاثمائة كتاب عن السيرة بمختلف اللغات الأوربية . فلك أن تتخيل إلى أي مدى وصل العدد الآن في زمن

الثورة المعلوماتية . ومدى الحاجة لسيرة صحيحة تعطي لهؤلاء الانطباع السليم عن خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

ومن ذلك أيضا يقول الدكتور فاروق حمادة في كتابه مصادر السيرة النبوية وتقويمها وقد طبع في الدار البيضاء سنة 1400 هـ :

إن عملية تحديد المصادر الأصلية للسيرة النبوية أهم عمل أمام الدارس للسيرة النبوية خصوصا وللإسلام عموما وتقويم هذه المصادر يعطيه العدة الكافية لتناول السيرة المحمدية نقية من الشوائب ويطلع على حقيقتها وأبعادها ثم يستطيع أن يرد على كل الذين يزيفون الحقائق ويشوهون تاريخ النبي ﷺ مهما كانت صبغتهم ولغتهم . وإن تقديم صورة كاملة شاملة صحيحة للنبي ﷺ ولصحابته الكرام واجب إسلامي في أعناق المسلمين عامة والباحثين خاصة لاسيما في هذه الفترة بالذات التي بدأ الناس فيها يتلهفون إلى معرفة شخصية النبي ﷺ ومعرفة الإسلام في عالم الكبد والعنت والإرهاق ومازال الكثير من غير المسلمين يحملون صورة قاتمة شريرة لنبي الإسلام ولشريعته السمحاء .

وإني أؤكد أن السيرة النبوية يجب أن يرجع فيها إلى مصادرها الأولى ولكل واحد الحق أن يحللها بالطريقة التي تهمه تحليلا أدبيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو غير ذلك ولابد أن يكون هذا التحليل يستند إلى السيرة الصحيحة الكاملة وليس إلى الأساطير والخرافات التي أضافها المتأخرون أو اخترعها أعداء الإسلام .ا.هـ

وأيضا يقول الدكتور عبد الله ضيف الله الرحيلي في بحث له بعنوان مناهج تدوين السيرة النبوية عرض ومناقشة . نشرته مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة في عددها الحادي عشر . 1425هـ :

اختلفت أنظار عدد من الباحثين في السيرة النبوية ـ فيما يتصل بالتثبت في تلقي السيرة وتدوينها وبطريقته على النحو التالي :

فمنهم من يجمع كل ما يروى دون التمييز بين الثابت وغير الثابت وهذا هو الغالب على ما ألف في السيرة وبعض هؤلاء فعل ذلك استنادا إلى السند الذي يسوق به الروايات التي يوردها إذ يرى أن السند كاف عنده لبيان حال الرواية صحة وضعفا . وهذا المسلك عليه مؤاخذات سيأتي بيانها .

ومنهم من يتبنى الدعوة إلى الاعتماد على الصحيح وفق منهج المحدثين ومن ذلك :

المحاولة التي ظهرت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتوجيه بعض الرسائل العلمية لجمع الروايات الثابتة المتعلقة بغزوات النبي ﷺ.

ومحاولة قام بها محمد بن رزق الطرهوني في كتاب سماه : صحيح السيرة النبوية.

وإنما عددت هذه الدراسات ـ المذكورة آنفا ـ في ضمن هذا الاتجاه ليس تزكية مطلقة لها ولا تفريقا بينها وبين الاتجاه الآتي بعد أعني الاتجاه الثالث ، وإنما بحسب ما أشارت إليه هذه الدراسات في عناوينها ولم أسبرها كلها فيما يتعلق بمدى مطابقة مضمونها لعناوينها أو مناقضته بخلاف ما ذكرته عن الاتجاه الثالث في هذا الأمر.

إلا أن هذه المحاولات تحتاج إلى مراجعة دقيقة وتقويم وتحرير للمنهج الذي بموجبه يكون الحكم على الروايات بالتصحيح أو التضعيف.

يقول : ومنهم من دعا إلى الأخذ بمنهج المحدثين في نقد الروايات مع تسامح كبير من حيث المبدأ ـ في نظري ـ ومن هذا ماذهب إليه د. أكرم ضياء العمري في كتابه (المجتمع المدني في عهد النبوة) وفي كتابه (السيرة النبوية الصحيحة)

ومنهم من حرص على التثبت ولكن دون منهج واضح يتفق ومنهج المحدثين في التثبت متجها إلى الاعتماد على المصادر الموثوقة بدلا من الروايات الموثوقة ـ وإن كان المقصود هو صحة الروايات ـ وذلك على غير منهج سديد لتحديد المصادر الموثوقة.

ومنهم من ضاق بمنهج المحدثين في نقد الروايات فأعرض عنه واختار ـ في الغالب بديلا عنه ـ في نظره وهو النظر العقلي في مضمون الروايات في ضوء القرآن والثابت من السنة ومقاصد الشريعة وأهدافها العامة.

ويمثل هذا الاتجاه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه فقه السيرة وفي غيره من كتبه.

وفيما يلي نقد للمنتقد في نظري من هذه الآراء والاتجاهات في ضوء منهج تلقي السيرة والشمائل النبوية المتعين الآخذ به ، ونقولٌ كذلك لبيان هذه الآراء عن أصحابها القائلين بها والله هو الموفق .ا.هـ

وقد قام وفقه الله بنقد هذه الاتجاهات ماعدا الاتجاه الثاني وهو ما ندعو إليه ونقرره وقد وصفه بقوله :

وهذا الاتجاه هو الأصل في تلقي الدين والعلم وهو الذي عليه الأمر من حيث العموم بصفة عملية منذ جاء هذا الدين قبل أن تؤلف فيه المؤلفات مستقلة وحدث التسامح عمليا في التثبت في مجال السيرة والشمائل النبوية بعد ذلك شيئا فشيئا .

ولكن التثبت هذا وفق منهج المحدثين لم تتجه له كتب السيرة والشمائل بصورة دقيقة منذ عهد الإسلام الأول حتى اليوم إلا بصفة التجزئة التي شملت أغلب جوانب السيرة مفرقة .

فالسيرة والشمائل المحمدية محفوظة إذن وإن لم تتجه كتب المتخصصين فيها إلى منهج المحدثين بصفة دقيقة منذ البداية .

على أن كتابتهم للسيرة والشمائل النبوية جاءت حاملة في أغلب الأحوال ـ بالنسبة للمتقدمين خاصة ـ للسمات القابلة لتطبيق منهج المحدثين في التثبت وأهم تلك السمات الرواية بالسند الأمر الذي جعل مادة تلك المؤلفات قابلة للنقد والتمحيص وفق منهج المحدثين .

لقد ظل هذا الاتجاه المتثبت وفق منهج المحدثين في تلقي السيرة والشمائل النبوية دعوات وأمنيات يفصح عنها المخلصون طوال هذا التاريخ بين فترة وأخرى والمحاولات تترى بين مصيب ومخطئ في الاتجاه ولم يتحقق الأمل المرجو بعد .

يقول : ومما يلفت النظر على أنه على الرغم من وضوح الواجب ومضي هذا الزمن الطويل لا يزال بعض الناس بل بعض المتخصصين في السيرة النبوية والتاريخ اليوم يمترون في وجوب هذا الواجب بل في صحته وسلامة الاتجاه إليه .

إن أولئك المعارضين لتطبيق منهج المحدثين يعارضون غالبا في شيء لم يعرفوه .

ثم يقول وفقه الله :

إن منهج كتابة السيرة النبوية والشمائل النبوية ومنهج تلقيها يجب أن يكونا مبنيين على منهج المحدثين في نقد الروايات .

وهذا يستلزم تخصص الباحث أو الكاتب في معرفة منهج المحدثين ، وتخصص من تؤخذ عنه السيرة النبوية في ذلك المنهج .

وهذا يستلزم أيضا معرفة المتخصص بمنهج المحدثين معرفة محررة يميز فيها بين الآراء المتسقة مع المنهج والآراء الشاذة والقواعد المعتمدة

في منهجهم والقواعد المعلومة الفساد عند جمهور المحدثين ويستلزم كذلك أن يكتمل له الإلمام النظري بالمنهج والإلمام العملي التطبيقي المتسقان مع أصول المنهج لا مع مجرد الأقوال والآراء الفردية .

ويوم أن تكتب السيرة النبوية بهذا المنهج ويتوافر في الكتابة الركنان التثبت من صحة الرواية والنقل
والتثبت في فهم الرواية الصحيحة فهما صحيحا والتثبت في الاستنباط منها والاستدلال بها استنباطا أو استدلالا صحيحا .

يوم أن تكتب السيرة بهذا المنهج يتحقق لنا الأمل المفقود والهدف المنشود الواجب علينا نحن المسلمين السعي في تحقيقه تجاه سيرة أعظم شخصية عرفها التاريخ سيرة رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين صاحب أصح سيرة وأوضح سيرة وأعظم سيرة .

فهل نقوم بواجبنا السيرة النبوية ونخلصها مما أساء به إليها الناس من الزيادة والنقص والتشويه والتحريف المسلمون وغير المسلمين والمحبون والمبغضون والمادحون والمنتقصون بالباطل على حد سواء من حيث يريدون ومن حيث لا يريدون اللهم وفقنا لذلك .ا.هـ

نقول للدكتور عبد الله : آمين ...

وهذا الكلام من الدكتور عبد الله الرحيلي كلام جميل ووجيه ولكني أحب أن أركز على نقطة هي خاتمة هذه المحاضرة المباركة وهي كلمة أقولها بملئ فمي :

إن تعامل العلماء خلال عصور الإسلام مع السيرة لا يختلف في الواقع مع تعاملهم مع السنة بصفة شاملة فأهل التثبت والبحث عن الصحيح التزموا هذا المنهج في جميع أبواب السنة ومنها السيرة وأهل التساهل التزموا ذلك أيضا في جميع أبواب السنة ومنها السيرة .

ولمن أراد التحقق من ذلك فليرجع إلى كتب الفقهاء مثلا وينظر فإنه سيجد المراسيل والمقاطيع والروايات الواهية التي بنيت عليها أحكام وشرائع وتسببت في خلافات مذهبية مقيتة .

وفي الوقت نفسه يرجع إلى صحيح البخاري الذي حرص على تبويبه على أبواب الفقه فأخرج فيه ما يراه صحيحا في كل باب ثم نراه أفرد كتابا كاملا سماه كتاب المغازي قام فيه بنفس عمله سواء بسواء مع أبواب الفقه فكان بحق أول من صنف في صحيح السيرة النبوية .

وكما أنه لم يسبق وأن اشتهر تصنيف لأحد من أهل العلم على وجه الاستقلال في صحيح أحاديث الفقه مثلا أو صحيح أحاديث الفضائل فكذلك لم يشتهر التصنيف في صحيح أحاديث السيرة على وجه الاستقلال .

ومن هنا يمكن أن نقول إن دعوى بعض المدعين أن عرض السيرة وفق منهج المحدثين إنما هو أمر محدث لا سابق له هي في الحقيقة دعوى فارغة يمكن أن توصف بأنها زوبعة في فنجان .

ونكتفي بهذا القدر وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك الله وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ..

الأخ طلحة :

في البداية جزاك الله خيرا شيخنا أبا الأرقم فقد كفيت ووفيت وبالفعل محاضرة تخصصية مفيدة لطلاب العلم وللعوام بل حتى للعلماء فيها معلومات جيدة بل ممتازة فجزاكم الله كل خير وأحسن الله إليكم وبارك لكم في أوقاتكم لتكملوا لنا بإذن الله صحيح السيرة النبوية ونراه إن شاء الله مطبوعا كاملا حتى يكون مرجعا للأمة الإسلامية بأسرها .

سؤال :

أي كتاب تنصحنا ياشيخ لتعلم السيرة النبوية ؟؟

الجواب :

لاشك أنني سوف أنصح بكتابي في السيرة كالعادة فالإنسان دائما يرى في عمله أنه طبق فيه مايدعو إليه لكن كتابي غير متكامل لأنه ينتهي إلى الهجرة وصدر الجزء المتعلق بالهجرة في كتيب مستقل ولكن أنصح بجواره بالكتب التي سميت بصحيح السيرة وأنصح كذلك بكتاب الدكتور مهدي رزق الله السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية فهو كتاب قيم وإن كان الدكتور عبد الله قد انتقد عليه مسائل فالكتاب قيم وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق إلى إنجاز السيرة كاملة كما دعا لنا أخونا الشيخ طلحة لكي ننصح به ونكتفي .

الأخ طلحة:

جزاكم الله خيرا ...أحب أن أنوه إلى نقطة علمية نص الإمام ابن القيم الجوزية الإمام الرباني وشيخ الإسلام الثاني في زاد المعاد نصح طلاب العلم أن يقرؤوا كتابه ..فأن ينصح العالم الناس أن يقرؤوا كتابه فخير كبير ، بعض الناس يظن أن فيها رياء ، لا ..هذا ليس بشيء بل بالعكس كثير من العلماء كانوا ينصون في مقدماتهم يقولون : عليك بهذا الكتاب ففيه مباحث عظيمة .. فالشيخ ماشاء الله كتابه مدح من علماء كبار .. والشيخ له جهد طيب في علم الحديث .

كذلك هناك عدة كتب لمن يحب الكتب بالأسماء ؛ هناك كتاب صحيح السيرة النبوية للشيخ إبراهيم العلي رحمه الله تعالى قدمه الشيخ الدكتور عمر سعيد سدده الله الذي حقق كتاب علل الترمذي ، وكتاب السيرة النبوية وهذا مارأيته للدكتور أكرم ضياء العمري له صحيح السيرة النبوية واليوم أيضا رأيت كتابا مختصرا وجميلا في مجلد واحد اسمه سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام لشيخنا الشيخ صالح طه من تلاميذ الشيخ الألباني وهذا الكتاب قدم له الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ..كتاب في مجلد واحد جيد . وطبعا كما قلنا كتاب شيخنا الطرهوني هو في هذا أصل عظيم مفيد لطلبة العلم وللذين يحبون أن يطلعوا على نكت علمية جزاه الله خيرا ..

سؤال : شيخنا استمعت للسيرة النبوية للدكتور طارق السويدان فأريد أن أعرف هل ممكن أن آخذ منها ؟؟

الجواب : بارك الله فيك .. كلام الدكتور طارق السويدان لم يأت فيه بشيء من عند نفسه وإنما أتى به من كتب العلماء الذين صنفوا في السيرة ولكنه بطبيعة الحال إذا كان في المحاضرة قد ذكرنا أن علماء ومصنفين من أهل العلم لم يتحروا الدقة والصحة فيما يذكرونه من مرويات السيرة فهل يمكن أن يتم ذلك للدكتور طارق السويدان وهو غير متخصص في الشريعة فضلا أن يكون متخصصا في دراسة الأسانيد وتحقيق الروايات المتعلقة بالسيرة ؟ فإذا استمعت إليه فأنت كأنما تقرأ في كتب السيرة التي جمعت من هنا وهناك فتبقي المعلومات التي تستمع إليها في مقدمة عقلك وليس في المركز بمعنى أنها تكون قابلة للطرح وليست أساسا لبناء أحكام شرعية واستنباطات تؤخذ وإنما هي مجرد معلومات تستفيد منها وتكون نواة لك لتنطلق وتسأل وتعرف

الصحيح من الضعيف والحق من الباطل من هذه المعلومات .. هذه نصيحتي والله سبحانه وتعالى أعلم

الأخ طلحة :

طيب ، جزاكم الله كل خير وأحسن الله إليكم وبارك لنا في أوقاتكم وفي أعمالكم العلمية الطيبة جزى الله شيخنا محمد بن رزق الطرهوني على محاضرته الطيبة اليوم التي كانت حول موضوع السيرة النبوية والتي أتحفنا فيها ببعض التأصيلات العلمية لموضوع الكتابة في علوم السيرة وقد سبق وتحدث في بداية المحاضرة عن بعض المقدمات في علوم الحديث فجزاه الله كل خير

تم بحمد الله